التعليم فى الخلوة السودانية "الكتاب"

احمد السيلى

(أ) الطفل فى الخلوة :

عندما يبلغ الطفل السابعة من العمر يذهب به الى الخلوة وقد يذهب به اليها قبل ذلك أو بعده حسب درجة اهتمام الاب بالتعليم . ولقد كانت هناك علامة اصطلح الناس عليها لتحديد العمر الذى اذا بلغه الطفل الحق بالخلوة وذلك بأن يؤمر بوضع يده على رأسه مادا اصابعه فان لمست اطراف اصابعه شحمة اذنه قيل انه استحق ان يرسل الى الخلوة . والذى دعاهم الى الاعتماد على هذه الملاحظة ان ظاهرة تسجيل المواليد فى سجلات رسمية لم تكن معروفة يومئذ . وقد يتخير الآباء يوم الخميس ليذهبوا باطفالهم الى الخلوة مراعين فى ذلك ان الخميس يوم قليل الدروس وتأتى بعده الجمعة وفيها ينصرف التلاميذ الى ضروب اللهو واللعب . وفى هذا نوع من التخفيف على الطفل حديث العهد بالخلوة .

وقد اعتاد الناس ان يحمل مع الطفل الجديد شيء مما يوزع على الحيران ابتهاجا بهذه المناسبة فقد يكون ذلك الشيء المحمول بلحا أو رطبا ، كيفما تيسر ، أو بليلة وهكذا يختلف الشيء الذى يهدى للحيران وشيخهم باختلاف الاقاليم ومواسم الحصاد .

(ب) كيف يتدرج فى التعليم :

وعندما يتسلم التلميذ الكبير الطفل الصغير يبدأ معه على النحو التالى (ولكل حوار كبير عدد من التلاميذ يكلفه الشيخ بتعليمهم)

أولاً :ـ

يكتب له بعض الحروف الهجائية على الارض وينطقها له . مثلا المجموعة الاولى (ا ب ت ث) ويأمره بحفظها على هذا الترتيب

ويكلفه بكتابة مثلهـا على الارض وهكذا حتى تنتهى المجموعة الاولى فالثانية وهلم جرا الى الياء .

وعندما يتأكد التلميذ الكبير ان هـذا الطفل الصغير قـد حفظ الحروف الهجائية كلها عن ظهر قلب واصبح قـادرا على كتابتهـا مـن ذاكرته دون ان تشتبه عليه المتماثلات عندئذ ينتقل به الى المرحلة التالية .

ثانياً : ـ

ان يكلف التلميذ الصـغير بمعرفة الحركات الثلاث والسكون وكيفية قراءتها وذلك بأن يكتب له الحرف هكـذا (بَ بِ بُ بْ) ويقرأ له هكذا بَ : فتحة . بِ : كسرة بُ : ضمة . أَبْ : جـزم وهكذا الى الياء وهـذه المرحلة فى بعض جهات السودان تعتبر المرحلة الثالثة .

ثالثاً : ـ

يكلف التلميذ الصغير بمعرفة كتابة حروف المد وقراءتها . وذلك بأن يبدأ معه بالحرف (ب) ملحقة به الالف والياء وواو الجمـاعة . مثال ذلك (با : بى : بوا) (با : جاب الف) (بى : جاب يا) (بوا : جاب واو والف) وتعتبر هذه المرحلة فى بعض مناطق السـودان هى المرحلة الثانية .

رابعاً : ـ

فى هذه المرحلة يكلف التلميذ بمعرفة كتابة التنوين وقراءته وذلك بأن يبدأ معه بكتابة الحروف منونة بفتحتين وكسرتين وضمتين ابتداء مـن الباء الى اليـاء مثـال ذلك (بً ـ بٍ ـ بٌ) ويقـرأ التلميذ الكبير ويكرر بً : فتحتان . بٍ : كسرتان بٌ : ضمتان وهكذا الى اليـاء .

خامساً : ـ

فى هذه المرحلة يعلم الطفـل كيفية كتابة الحرف المشدد وقراءته وذلك بأن تكتب له الحـروف كلها مبتدئين بالباء هكـذا بَّ . بِّ .

بُ) وتقرأ له بنفس الصورة السابقة (وهنا خطأ تربوى يمكن علاجه) وذلك بأتيان كلمات لاشياء يدركها الطفل والحرف الاخير مشدد وتكتب له هذه الكلمات على السبورة • ويبرهن له عمليا انه لا يستطاع النطق بالحرف المشدد الا بالاستعانة بالحرف السابق عليه مثل (كبَّ • تبَّ • رشَّ) •

سادساً : ــ

فى هذه المرحلة يعلم الطفل كيف يكتب ويقرأ الحرف المشدد مع التنوين مثل (بّاً • بٍّ • بٌّ) والطريقة المتبعة فى قراءتها ان تقرأ له مسبوقة بالف عليها همزة مثل (أبّاً • أبٍّ • أبٌّ) وهنا نلحظ نفس الخطأ التربوى السابق وعلاجه ان يؤتى بكلمات مشددة منونة فى حالات ثلاث نحو (ربّا • ربٍّ • ربٌّ) والطريقة المتبعة عند المشائخ فى قراءة هذه المجموعة من الحروف فى ذلك الوضع ان ينطق بالحرف مشددا ومنونا مسبوقا بالهمزة كما سبق • ويقول بعض النطق أبّاً شدة وفتحتان ــ أبٍّ شدة وكسرتان • أبٌّ شدة وضمتان •

سابعاً : ــ

فى هذه المرحلة يبدأ التلميذ بكتابة سورة الفاتحة ، يمليها عليه الشيخ الكبير كلمة فكلمة حتى اذا انتهت السورة اخذ منه لوحه وصحح كتابة الكلمات التى اخطأ التلميذ فى كتابتها ثم يأمره بحفظ هذه السورة وتسميعها مساء نفس اليوم وهكذا يكون الحال بالنسبة للسور الصغيرة الاخرى • الناس ، الفلق ، الاخلاص وهكذا حتى ينتهى بسورة البقرة وعند بلوغ نهاية هذه السورة يوصف الطالب بأنه ختم القرآن •

ثامناً : ــ الشرافة ومواضعها :

فى خلال هذه الختمة يمر الطالب بخمسة مواضع من القرآن وكلما وصل الى موضع زوق لوحه من جوانبه الاربعة بالوان مختلفة وكتب من الداخل بعض آيات من الموضع الذى جرت العادة ان تكون

له شرافة • وهـذه المواضـع هى(لم يكن • عم • تبارك • قد سمع • يس) والذى يقـوم بتزويق لوح الطالب هـو الشيخ نفسه أو احد التلاميذ الكبار • وقد جرت العادة ان يحمـل التلميذ الصغير لوحه ذا الشرافة ويمر به على أقربائه رجالا ونساء وعلى الجـيران من سـكان القرية طالبا منهم منحه ما يستطيعون من مال تشجيعا له وتقديرا للمستوى القرآنى الذى وصله ، ولا يتصرف التلميذ فى هذه المبالغ التى تتجمع لديه وانما يدفع بها الى الشيخ وقد اعتاد بعض الناس عند كل شرافة ان يحمل طعاماً بكميات كبيرة الى الخلوة للشيخ والجيران • اما اذا وصـل التلميذ الى البقرة فأن والد التلميذ يقيم مأدبـة كبرى يدعو لها الشيخ والتلاميـذ والاقـارب والجـيران والاصدقاء وبعـد ان يطعم الناس يجلس التلميذ الذى اقيمت الحفلة مـن اجله على كرسى ويقرأ آخـر سورة البقرة • ثم ينفض الحفـل • ويأخذ الناس فى تهنئة والده •

تاسعاً : ـ العودة المرة :

المراد بالعودة المـرة الختمة الثانية للقرآن الكريم وتبدأ عادة من سورة البقرة الى سورة الناس • والنظام المتبع خـلال هذه الختمة فى الحفظ كما يلى : ـ

يصحو الطلاب قبيل طلوع الفجـر فيتوضأون ويوقدون النار ثم يأخذ طلبة العودة المرة فى كتابـة المقدار المقرر حفظـه فى كـل يوم ويتوقف تحـديد المقدار على ذكاء الطالب وقدرته على الحفظ فمنهم من يكلف بكتابة ربع كامل ومنهم من يكتفى بنصف الربع (ثمن) ، وقد ينقل ذلك مـن المصحف أو يمليه عليه الشيخ وفى كلتا الحالتين ، سواء نقله من المصحف أو املى عليه ، فلابد من ان يعرض التلميذ لوحه على الشيخ لتصحيح ما عسى ان يجده فيه من أخطاء فى الضبط أو الاملاء •

وبعـد الفراغ من عمليـة التصحيح هذه ـ يأخـذ التلميذ لوحه وينصرف الى مكان يقرأ فيه هذا المكتوب عدة مرات رغبة فى ان

يحفظه عن ظهر قلب ويستمر كل طالب فى ترداد ربعه الجديد أو ثمنه حتى صلاة الظهر وبعد الصلاة ينصرفون الى الغداء والقيلولة ولا يعودون الا لصلاة العصر • وبعد الفراغ منها يجلس الشيخ على سريره ويأخذ فى الاستماع الى ماكتب صباح اليوم • فمن اثبت انه حفظ لوحه حفظا جيداً امره بأن ينصرف ويأخذ فى تلاوة الاجزاء السابقة استعدادا لتسميعها للشيخ ليلا •

اما من لم يكن حفظهم جيدا فيؤمرون بالانصراف وترداد الواحهم حتى تحفظ حفظا جيدا • فمن لم يستطع ان يحفظ لوحه فى يومه هذا امر بتركه للغد ويوصف عندئذ بأنه (مقيّم لوحه) ولا يرتكب هذا التأجيل الا نوعان من الطلبة المهملون ــ أو الاغبياء والعقوبة للاولين دون الآخرين • لان تقصيرهم راجع الى عجز طبيعى هو ضعف الذكاء وقد اعتاد مشائخ الخلاوى ان يباشروا عملية الاملاء الى عدد من الطلبة فى وقت واحد • وذلك بأن يجلسوا حوله فى شكل حلقة ويأخذ فى الاملاء عليهم كل من الموضع الذى انتهى اليه فى لوحه السابق ويحدث فى اثناء ذلك ان يكون هناك طلبة يعرضون الواحهم على الشيخ ويصحح فى ذات الوقت الواحا لآخرين •

(جـ) الاداة التى يكتب عليها :

يكتب التلاميذ على الواح من الخشب تنجر من شجر الحراز والسنط على شكل مستطيل ويجعل للوح مقبض فى الجهة العليا وذيل فى الجهة السفلى لكى يكون مرتكز اللوح عندما يسنده على الحائط • وعندما يقدم اللوح يطلى بالجير الابيض قبل الكتابة عليه • وعندما يمحى يجدد الجير وهكذا دواليك وتمحى الالواح فى مكان معد لذلك •

(د) المادة التى يكتب بها :

يكتب التلاميذ على الالواح بحبر يسمى (العمار) • وكيفية صنعه ان يسحق الصمغ ويخلط (بالسكن) (وهو المادة التى تتجمع

تحت (الصاج) الذى يصنع عليه الخبز) ويصب عليه ماء ثم يعجن ويجعل فى شكل كرات صغيرة بمقدار حبة التين • وعندما يريد التلميذ ان يجهز دواته للكتابة عليه ان يحضر سبيب خيل يلفه فى شكل دائرة ثم يضعه فى قعر الدواة ويضع عليه حبة واحدة من العمار ثم يصب عليه الماء حتى يتحلل وعندئذ يأخذ فى الكتابة •

(هـ) الاداة التى يكتب بها :

يكتب تلاميذ الخلوة عادة الواحهم باقلام البوص أو القصب (قصب الذرة) وتبرى على نحو خاص مألوف عند مشائخ الخلاوى ولا يستعملون (الريش) ولا الاقلام الجافة •

(و) دخل الفكى :

تطلق كلمة الفكى عدة اطلاقات ــ ومن ضمن ما تطلق عليه الشيخ الذى يقوم بتدريس القرآن فى الخلوة ــ ولما كانت الحكومات المتعاقبة (الحكم الثنائى وما بعده) لم تعتبر مشائخ الخلاوى موظفين ذوى رواتب فان الشعب وحده قد تكفل بضمان العيش الكريم لهؤلاء المشائخ باحدى الوسائل الآتية أو بها جميعا •

الوسيلة الاولى : ــ الخميسية :

والخميسية لفظ يطلق على مقدار من النقود يدفعه تلميذ الخلوة كل خميس ويتوقف مقداره على الحالة المالية للاب • ولا تقل على اى حال عن نصف قرش وعن طريق هذه الوسيلة من وسائل الدخل يتجمع عند شيخ الخلوة مبلغ من المال كل اسبوع يعينه على قضاء حاجاته الاسبوعية •

الوسيلة الثانية : ــ العراضة :

يقصد بالعراضة القدر الذى يخصص لشيخ الخلوة على عرض المساحات المزروعة ــ فقد تكون المساحة المخصصة لشيخ الخلوة ذراعين أو اكثر • على امتداد القطع الزراعية فى منطقة الخلوة • فما عليه

عند الحصاد الا ان يرسل تلاميذه لحصد المقدار المعين له ويتكرر هذا الامر عند كل حصاد • وفى المناطق التى يوجد بها النخيل • يخصص للشيخ مقدارٌ معينٌ من كل فرد •

الوسيلة الثالثة : ــ الهدايا :

يستقبل الشيخ الهدايا متنوعة من آباء التلاميذ والمحسنين من سكان المنطقة ومن التلاميذ عندما يتخرجون ويتولون بعض الاعمال •

(ز) قاموس الخلوة :

هناك بعض الفاظ وعبارات تستعمل فى محيط الخلوة وفيما يلى الالفاظ والعبارات والمعانى الدالة عليها :

(١) الحوار : هو التلميذ الذى يتلقى تعليمه بالمدرسة الخاصة بالقرآن (الخلوة)

(٢) الخميسية : هى الهدية التى يدفعها التلاميذ يوم كل خميس ولا تكون الا نقودا • وقد اشتق اسمها من اليوم الذى تدفع فيه ويتسلمها عادة وكيل الشيخ ويسجل اسماء الذين دفعوا له فى ورقة ثم يسلمها للشيخ •

(٣) بليلة الاربعاء : عند كل اربعاء يحمل كل تلميذ مقدارا من الذرة على اختلاف انواعها ويحمل معه عودا وتجمع هذه الكميات فى الخلوة بوساطة الوكيل ــ وتوقد نار وتوضع عليها حلة كبيرة ويوضع فيها الماء ومقدار كبير من ذلك الحب بحيث تمتلىء الحلة وتبدأ عملية الانضاج من بعد صلاة الظهر وتستمر الى قبيل صلاة المغرب ثم تبدأ عملية تقسيم البليلة على التلاميذ كل فى الاناء الذى جاء به على ان تكون المقادير التى

تمنح لهم متساوية ويحمل التلاميذ هذه البليلة الى اهلهم ليتبركوا بتناولها مع ابنائهم .

(٤) العَرْضـــة : تعنى هذه الكلمة تسميع الطالب للشيخ المقدار الذى حفظه وكيفيتها ان يقف الطالب قريبا من الشيخ ثم يأخـذ فى قراءة ما حفظه ويستمـع الشيخ اليه ، يصـلح له خطأه اذا ما اخطأ بان نسى آية أو اختلطت عليه الآيات المتشابهات .

يحدث ان يكون الطلاب الذين يعرضـون ما حفظوا على الشيخ اكثر من واحد فى الزمن الواحد وذلك لكى يفرغ فى الزمن الوجيز العـدد الكبـير .

ان كلمة(عرضة) مأخوذة من تعبير اسلامى قديم . فقـد جاءت هـذه الكلمة فى روايات المتحدثين وذلك عند الحديث عن عـدد المرات التى عرض النبى عليه الصلاة والسلام القرآن على جبريل بعد تمام نزوله ــ فقد قالوا العرضة الاخـيرة . وقالوا كـان النبى صلى الله عليه وسلم يعرض القرآن على جبريل فى كل رمضان مرة الا فى رمضان السنة التى توفى فيها فقـد عرضه عليه مرتين .

(٥) الصـــحة : يخطىء طـلاب الخلاوى فى نطقها الصحيـح فيقولون (الصَّحة) بتشديد الصاد مع الفتحة. ومدلولها فى الخلوة هـو عملية التصحيح التى كتبوهـا بانفسهم سواء أكان ذلك المقدار مما املاه عليهم أم نقلوه مـن المصاحف يتتبع كـل لوح من اول سـطر فيه الى آخر سطر . وكلما وجد خطأ اصلحه . سواء أكان خطأ فى الضبط ام

الرسم • واذا كان الخطأ مما لايمكن تداركه امر الطالب بمحو اللوح وكتابته من جديد •

(٦) الرَّمْيَة : التعبير الذى تسمعه يدور فى بيئة الخلوة انهم يقولون فلان (شال الرمية) يعنون بذلك انه صار قادرا على ان يحفظ الجملة القرآنية التى تملى عليه ثم يكتبها من ذاكرته دون ان يسقط منها كلمة واحدة • ولا يبلغ الطالب هذا المستوى عادة الا بعد ان يصل سورة (يس) ، هذا بالنسبة لمتوسطى الذكاء •

(٧) السبع : تدل هذه الكلمة على مقدار من القرآن حددت مواضعه فيه بحيث لو التزم القارىء كل يوم بقراءة ذلك المقدار المحدد اكمل القرآن فى سبعة ايام وان توزيع القرآن على اسباع يسير على النحو الآتى فى معظم جهات السودان •

السبع الاول : من اول سورة الفاتحة الى قوله تعالى (إن الله كان على كل شيء حسيبا) من سورة (النساء / ٨٦) •

السبع الثانى : من (الله لا أله الا هو ليجمعنكم) النساء / ٨٧ الى قوله تعالى (انا لا نضيع اجر المصلحين) الاعراف /١٧٠ •

السبع الثالث : يبدأ بقوله تعالى (واذ نتقنا الجبل فوقهم) الاعراف /١٧١ • الى قوله تعالى (ويفعل الله ما يشاء) ابراهيم /٢٧ •

السبع الرابع : يبدأ بقوله تعالى (الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله) ابراهيم /٢٨ الى قوله تعالى (عن الصراط لناكبون) المؤمنون /٧٤ •

السبع الخامس : يبدأ بقوله تعالى (ولو رحمناهم) المؤمنون /٧٥ وينتهى بقوله تعالى (وهو العلى الكبير) سبأ /٢٣ .

السبع السادس : يبدأ بقوله تعالى (قل من يرزقكم من السموات والارض) سبأ /٢٤ وينتهى بقوله تعالى (والله بصير بما تعملون) الحجرات /١٨ .

السبع السابع : ويبدأ بسورة (ق) وينتهى بسورة الناس .

(٨) الخُرْبة : مقدار من الآيات يكلف بحفظه التلميذ الصغير يوميا ويقدر بنحو ثمانية أسطر تقريبا .

(٩) الثمن : مقدار من الآيات يتراوح بين ١٦ ، ١٨ سطرا تقريبا ، وهو نصف الربع وقد قسم كل جزء من اجزاء القرآن الثلاثين الى ستةعشر (١٦) ثمنا ويكلف الطالب كل يوم بحفظ ثمن وذلك فى العودة المرة .

(١٠) المُقَرَّة : كلمة تدل على الثمنين معا . وقد قسم كل جزء من اجزاء القرآن الكريم الى ثمانية مقرات . ويكلف الطالب بأن يحفظ كل يوم (مقرة) وذلك فى العودة الثالثة وهى المسماة بالعودة (الحلوة) .

اما (المقر) فى اللغة العربية فقد جاء بمعنى دق العنق بالعصا حتى تتكسر العظام والجلد سليم ، (والمقر) بفتح فكسر : الصَّبِر ، ومن المحتمل أن احدهما منشأ الكلمة على سبيل

الاستعارة ، لما فى حفظ هذا المقدار من القرآن كل يوم من مشقة .

(١١) العودة المرة : يصفون بها العودة الثانية وسميت مرة للمشقة التى يجدها التلميذ فى عملية الحفظ اثناء هذه الختمة .

(١٢) العودة الحلوة : سميت حلوة للسهولة التى يجدها التلميذ فى عملية الحفظ لانها تعتبر المرة الثالثة التى يبدأ فيها ختم القرآن .

(١٣) الشَّرافة : هناك مواضع معينة فى القرآن الكريم عندما يصلها الطفل تعمل له شرافة فى لوحه كما تقدم عنها الحديث . فالشرافة هى ذلك التزويق اللون الذى يرسم حول الكتابة فى اللوح من جهاته الأربع كانها اطار للمقدار المكتوب من القرآن وهى مأخوذة من كلمة (شرف يشرف شرفا وشرافة وهى الرفعة . فكانهم يعنون ان التلميذ ببلوغه تلك المرحلة المحددة من القرآن قد شرفت منزلته من ذى قبل اى ارتفع درجة فى سلم معرفة القرآن الكريم) .

(١٤) الفَزَعة : كلمة تطلق على مجموعة طلاب الخلوة الذين يخرجون الى الغابة القريبة من الخلوة ليجلبوا منها الحطب لايقاد نار القرآن يكلف كل طالب بحمل ربطة تتفق وقدرته الجسمية .

(١٥) التُّقابَة : كلمة تطلق على الموضع فى الخلوة يتخذ مكانا لايقاد نار القرآن .

(١٦) الرُّوشان : هو الاداة التى توضع عليها الالواح وقد يكون منضدة وقد يكون خشبة مربعة معلقة من

أركانها الأربعة فى سقف الخلوة وتدلى الى حيث يستطيع صغار التلاميذ من وضع الواحهم عليها • وقد تكون عبارة عن رف كبير مثبت فى ركن من اركان الخلوة — يسمى فى بعض الاقاليم بـ (الكَتُو) وفى بعضها بـ (الكَبَس)•

(١٧) اللوح : عبارة عن اداة خشبية يكتب عليها تلميذ الخلوة• ويصنع من الخشب •

(١٨) العَمار : عبارة عن المداد الذى يستعمله طلاب الخلوة فى الكتابة على الواحهم وقد تقدم الحديث عن كيفية صنعه •

(١٩) الفَلَقَة : عبارة عن خشبة بها حبل فى منتصفها تربط عليها رجلا التلميذ الذى يراد عقابه • وبعد ان تربط رجلاه على منتصف الخشبة يمسك بها طالبان آخران ، كل واحد منهما من طرف ويرفعان رجلى الطالب المذنب ثم يأخذ الشيخ فى ضربه بالسوط أو بالعصا •

(٢٠) محل المحاية : هو المكان الذى تمحى عليه الالواح بعد حفظها وتسميعها وهو فى بعض الخلاوى عبارة عن صخرة صغيرة منحوته على شكل قدح يصب فيه الماء ثم يأخذ الطلاب فى مسح الواحهم • وهناك اعتقاد راسخ عند بعض الناس ان محاية القرآن اذا شربت أو مسح بها عوفى المريض (وهى عبارة عن المداد الذى كتب به اللوح والحبر ، وقد تكون المحاية من لوح لا حبر عليه) •

(٢١) الحوار : هو التلميذ الذى يدرس القرآن فى الخلوة •

(ح) مرددات فى محيط حيران الخلاوى :

السبت	:	سَبْتُوت
والاحد	:	نَبْتُوت
والاثنين	:	بابين
والثلاثاء	:	عَهاره
والاربعاء	:	شَرافه
والخميس	:	صفقه ورقيص (للحيران المطاميس)
والجمعة	:	سرحنا ومرحنا
والسبت	:	جانا قَمَّحنا • الفكى شال سوطه وسلخنا
		ونحنا شلنا ليحانا وصرخنا •

خاتمة :

يعبر هذا البحث عن الحالة التى كانت عليها الخلوة فى مطلع هذا القرن ، ولا يزال الحال هكذا فى بعض الخلاوى وفى بعض الاقاليم *

---

* السيد عثمان منصور البارودى كبير المفتشين بادارة شئون القرآن الكريم ، قمين بشكرى فقد أمدنى بمعلومات قيمة ساعدت على اعداد هذا البحث الوصفى للخلوة ومن فيها وما فيها .